مقدمة

منذ عامين، تلاقينا واختلفنا وتحمسنا وتناقشنا، لنلتق من جديد حول طريقة طرح موضوع التهميش على بساط البحث، خصوصًا بعدما لاحظنا أن الاهتمام في مجتمعاتنا العربية غالبًا ما ينصب على مواقع التحجّر والتخلف والتسلط، وكثيرًا ما يصيب التهميش والإهمال فئات وموضوعات حاملة نواة التغيير والتقدم والحيوية.

ففي عصر صعود الشبكات الاتصالية هذا، حيث نعايش سهولة في التواصل وفي نشر المعلومات وبث الوقائع، نجد أن العولمة تجتاح مفاعيل هذا الصعود وتكاد تصادره، لغة وأسلوبًا وأهدافًا. وهذا يؤدي، من جهة، إلى تراكم هائل شبه متجانس لنمط من المعرفة وأساليب وموضوعات بعينها تتراوح بين تغطية الاكتشافات العلمية ونشر الفضائح، وإلى قصور في التنوّع والجدّة المعبرين عن الوجه الحيوي الحقيقي لكثير من جوانب المعرفة، والمصوّرين لأساليب مغايرة من العيش والتفكير والإيمان والذوق، من جهة أخرى. فالأفلام غالبًا هوليودية. ولغة التواصل المسيطرة، هي الإنكليزية. والأنماط السياسية المطلوبة تصاغ، بلا منازع، تحت عنوان الديموقراطية. والأنظمة الاقتصادية تهمّش وتبخس كل ما لا يدّعي الليبرالية. ولا بأس عندها إن كان المدافعون عن الديموقراطية هم الأبعد عنها، أو إن طعّم النظام الاقتصادي «الليبرالي» بشيء من الاشتراكية والتوجيه والتبعية، غير المعلن عنها.

ومن سمات العولمة التي نعيش، أفرادًا ومجموعات ومجتمعات، طغيان القيم المادية والسرعة في الحركة والانتقال، المنزلقة إلى تسرّع في اتّخاذ القرارات، ما يوصل إلى كثير من التقليد والتزييف. ولعل من مفاعيل التسرّع في «عصر السرعة» هذا تهميش المزاج والذوق الحقيقيين، حتى إزاء صاحبهما. ولعلّنا لا نخطىء إن أسميناه أيضًا «العصر المادي»، رغم استشراف بعض الفلاسفة لتحوّل نحو الروحانية[1]

(1) انظر Jose Ortega Y. Gasset, **History as a System, and other essays toward a philosophy of history**, New York & London: W.W. Norton & Company, 1961 (first edition 1941),p p. 197-207.

وقيمها[1]، وإلا فكيف غدت السياسة حكرًا على الأغنياء وأصبحت المافيات الحاكم الفعلي في دول عظمى وأخرى أقلّ عظمة؟ ولمَ تقف طوابير الطلبة لتنخرط في اختصاصات إدارة الأعمال والتسويق والتمويل، بينما تستجدي دوائر الإنسانيات، من أدب وفلسفة وعلوم طبيعية، انخراط بعضهم فيها، دون طائل يذكر؟

وبما أن عوالمنا العربية تعاني من عدائية مراكز العولمة لحقوقها وأنماطها ومن تشويه لصورتها، لأسباب إما سياسية وإما بريئة تحكمها طبيعة الاختلاف ويؤثّر في سبرها واستيعابها وقوعها في غير مراكز القوّة والسطوة، كان من الطبيعي أن يجذبنا استقصاء الهامش الذي نقع ضمنه، ومن الطبيعي أن تستهوينا هوامش هوامشنا. فالأولى تسهم في الاستزادة من معرفة الذات والنأي بها عن التهجين والتشويه، والثانية يحدوها توق إلى تغيير وتجديد عن السائد والمألوف نعتبر مجتمعاتنا في أمسِّ الحاجة لهما. بل لعلّ البحث في المهمّش غدا، بشكل عام، جاذبًا لمن يضيق بالأحادية الآخذة في التعمّق والاستشراء، ولمن يتوق لاستقصاء الحواشي والأقاصي التي تفوح بجدة ونضارة ومغايرة، بعيدًا عن المكرّس والمعزّز والمقلّد والمقدّد. وقد عمّق رغبتنا هذه وزادها اندفاعًا اندلاع «الحراك العربي» أثناء إعداد مشروعنا هذا، ما زاد من حماستنا لمواكبة المتغيّرات في مجتمعنا، المنبثق معظمها من مرابض التهميش وزواياه.

هذه بعض أسباب رغبتنا في تخصيص العدد السنوي من «باحثات» للتهميش وللمهمش، ورغبتنا في استطلاع الهوامش الحُبلى بما يطمح إليه الغيارى على المستقبل العربي من إنجازات علمية وفنية ومدنية وحياتية. أحببنا، بشكل خاص، الإضاءة على رقع نسيتها العولمة وهمّشتها فبقيت على أصالتها وبقي فيها نبض حيوية خاصًّا بها. بالإجمال، كان هدفنا من هذا العمل إلقاء الضوء على رقعة التهميش في المجتمعات العربية وتبيان مداها وأساليب التعاطي معها، من قبل المهمِّشين أو المهمَّشين، وصولًا إلى رصد الطاقات التي غيّبها التهميش أو ساهم في إطلاقها، وإظهار أهمية الهامش وقيمة الواقعين في نطاقه، على المستويات الإنسانية والديموقراطية والتنموية كما الإبداعية والتغييرية. وغايتنا تشتمل أيضًا، من ناحية أخلاقية، على التذكير بقيمة الصدق مع الذات حتى عندما لا يعجب التعبير عما يعتمل فيها أصحاب السطوة أو جماهيرها.

وفي تحضير مشروع هذا الكتاب، ارتأينا النظر إلى موضوع التهميش من منطلق

(1) انظر Abramson, Paul R. And Inglehart, Ronald, **Value Change in Global Perspective**, Ann Arbor: The University of Michigan Press, 1995. حيث يظهر للباحثين بعد دراسة حقلية تغطي معظم المجتمعات المعاصرة، أن تغييرًا قيميًّا من المادية إلى الروحانية هو في طور التبلور. لكن دراستهم لا تغطي المجتمعات العربية.

إيجابي، محاولات الابتعاد قدر الإمكان عن المعادلات الخطية الآلية كما عن تكرار ما سبق أن قيل عن سلبيات التهميش وعن الإجحاف في حق المهمشين. واجتهدنا في وضع فرضيات مغايرة، مقاربات الموضوع من منطلق جدلي ديالكتيكي، إيمانًا منا أنه مقابل كل كبح هناك انطلاق، وإزاء كل استبعاد هناك محاولات التفاف تشحذ الطاقات المبدعة، وكل حاجز يستنفر من يتخطاه. استوحينا ما يقوله علم الفيزياء من أنه مقابل كل فعل يوجد ردّ فعل، وتبنّينا ما يدّعيه التحليل النفسي من أنه لولا غريزة الموت لما قارعنا الصعوبات ولما حوّلنا المواد الأولية إلى أدوات نافعة. بل لولاها لما حصل جماع بين الجنسين ولما كانت حياة. خطونا بهذا التصور، تاركات للباحثين/ات حرية اختيار الموضوع والصيغة التي تناسبهم/هنّ، مشدّدات على غربلة المادة ورفض ما اعتبرناه غثًّا منها، طالبات إعادة الكتابة أو إعادة النظر، وفق ما ارتأته هيئة تحرير الكتاب وبعض المتخصصين بموضوعات بعينها، من معايير.

وبعدما اكتملت المادة بين أيدينا، بحثنا عن قواسم مشتركة تساعدنا في تبويب الكتاب، وارتسمت أمامنا أشكال مختلفة من التصنيف وفق الموضوعات أو أنواع الدراسة بين حقلية وأكاديمية، إلى أن اتّفقنا على تفنيد المحاور وفق نوعية تعاطيها مع موضوع التهميش، فتم تقسيم الكتاب إلى أربعة محاور، كالآتي:

المحور الأول: نقد أنماط سائدة في العلم والقانون والبحث والسياسة

شمل هذا المحور البحوث والمقالات التي انصب اهتمامها على نقد التهميش والاستبعاد اللذين تمارسهما البنى المسيطرة القائمة، مبقية في ايديها زمام المبادرة، مستأثرة بوضع المعايير ومهمّشة الآراء المغايرة أو معيقة فعاليتها.

تستهل المحور أنيسة الأمين، مقدّمة رؤية نقدية لمقاربة الألم النفسي، اليوم، وكيف يتم التعامل العلمي معه من قبل التنظير السائد في مجال الطب النفسي، بإلغاء الذات المتكلمة، الحاملة للمعاناة. وتشير الأمين إلى أن إنسان المجتمعات المعاصرة الذي يتمتع بالمساواة في الحقوق وبتحسن شروط العيش، ينهكه عالم بات لا يعترف بوجوده إلا كمادّة، فيعاني من الخور، في غياب رؤية ثورية تعيد إليه جوهر كيانه، فيذهب إلى الإدمان أو التدين، إلى التنظيم الصحي Hygiénisme أو عبادة الجسد المثالي، في بحث دؤوب عن سعادة مستحيلة.

تعتبر ماري روز زلزل أن المسافة بين إقرار القانون وبين تطبيقه في الواقع ساحة لمعارك لا تعز فيها جهود الساعين إلى العدالة. فحماية المستحقات بالقانون، وأيضًا إيصال الحقوق إلى أصحابها هي عرضة لشتى أنواع الانزلاقات التي تصطحب معها الناس وأحيانًا القوانين إلى الهوامش. والقوانين تكون بشكل خاص عرضة للتهميش عندما يكون موضوعها حماية

حقوق المهمشين. فتشير زلزل، مثلًا، إلى أن أكثر حالات العنف الأسري لا تصل إلى القضاء، بل يغلفها الصمت. وتذكّر بأنه استوجب عشرات السنين من التوعية لحمل النساء على كسر جدار الصمت للإبلاغ عن العنف الأسري وطلب الحماية من القانون. ولا يزال القانون الذي يحمي النساء من هذا العنف الذي عانينه منذ بدايات التاريخ موضع أخذ وردّ.

ترى هالة فؤاد أنه إذا كان المتصوفون الرجال يجسدون مع نصوصهم هامشًا على متن الحضارة الإسلامية، فإن النساء الصوفيات يجسدن هامشًا جديدًا بالقياس إلى المتن الوصفي الذكوري. وتشير فؤاد إلى الطبيعة الانتقائية الإقصائية للذاكرة الجمعية ذات النزوع الذكوري، التي مارست عنفًا متخيلًا على التاريخ النسائي، ومن ثم سعت سعيًا دؤوبًا إلى تهميش الكثير ما يتعلق بإنجازات النساء. فإن قدّم، من وقت لآخر، نموذجًا نسويًّا في مجال ما، تجري إعادة صياغته والتأريخ له مجددًا وفقًا للمعايير السائدة.. فقد يكون ما أُخفي وحجب عنا من سيرة رابعة العدويّة وغيرها، قياسًا إلى تجربتهنّ الحقيقية، هو تمرّدهنّ على القوالب المكرّسة.

وفي مواجهة احتضار مدينة طرابلس (اللبنانية) التي يسعى أهلها للبقاء على قيد الحياة، بلا أحلام جميلة ولا خيال جامح ولا تخطيط للمستقبل، تجد نهلا الشهال أنه غدا ملحًّا دراسة فعل النخب المحلية في مواجهة طرابلس لمصيرها المهمش، أو ذاك الذي يضمر احتضارها/ اندثارها، وسؤال تلك النخب عن مخططاتها العلاجية. بل وقبلهما تفحص حصتها من المسؤولية عن وصول المدينة إلى حالها هذا. والملاحظة التي تحتاج إلى تعميق، بنظرها، تتعلق باشتراك تلك النخب المنتمية إلى ميادين شتى، على رأسها تلك السياسية، في خاصية ضعف المبادرة عمومًا، وفي الاكتفاء بإدارة الآني من الأمور من جهة، وباقتصاد، أي بالحد الأكثر اختصارًا وتدنيًا.

تحاول فاطمة قاسم تفسير ضآلة التمثيل النسائي داخل الأحزاب السياسية اللبنانية، ذاهبة أبعد مما افترضته الدراسات السابقة من أن الأمر يعود لمستوى التنمية وللنظام السياسي الانتخابي أو لطبيعة النظام الطائفي والثقافي السائد، نحو تفسير الاختلاف في مراكز القيادة بالرجوع إلى مستوى التديّن في الأحزاب السياسية، مفترضة أنه كلما ازداد مستوى التدين في الأحزاب كلما انخفضت فرص النساء في مراكز القيادة. وتستكشف قاسم في بحثها دور «فروع النساء» في الأحزاب السياسية وتأثيرها سلبًا أو إيجابًا، مستنتجة أن ارتفاع مستوى التدين في الأحزاب السياسية يؤثر سلبًا على فروع النساء، وأن التهميش قد يصب أحيانًا في نتائج إيجابية لكونه يدفع النساء إلى العمل على جعل قضايا المرأة موضوعًا محوريًّا.

تتمرد روز دباس على مشاعر الغربة والتنكر والإقصاء الناتجة عن الممارسات

المتسلطة لمختلف البنى المهيمنة، رافضة ما رسم من هويات «هامشية» للأقليات ، متخطية أنصاف الهويات نحو هوية عربية رحبة قادرة على استيعاب الاختلافات.

المحور الثاني: التفلّت من بنى سلطوية مهيمنة

يقدّم هذا المحور نماذج من التفلّت من البنى السلطوية المهيمنة، من استعمارية وقيمية فنية أو اجتماعية. كذلك يقدّم شهادات تروي عن تخطي التهميش السياسي والديني وعن التعاطي مع ظروف صعبة بإيجابية توسّع آفاق المعاني وتضاعف من فعالية الجهد.

فتسهب نادرة شلهوب وسهاد الناشف في وصف يكاد يكون غرائبيًّا من كثرة ما هو مشوّق ولمّاح، لكيفية استخدام فلسطينيي الداخل لجثة الميت منهم، بفضل ما للميت من حرمة، من أجل تخطي قيود سبق أن وضعتها سلطة الاحتلال، بما في ذلك القيود على جسد الميت والأمكنة المتاحة لدفنه.

وتنحاز نجلاء حمادة للأدباء معتنقي هوامش الآراء والأنماط الاجتماعية، لما ينضح به خيارهم من صدق وجرأة. فهي إذ تقارن بين رواية لأحلام مستغانمي وأخرى لسحر الموجي تجد أن العناية ب «الفن للفن» قد تكفي لاستثارة إعجاب القراء لكنها لا تستجلب تفاعلهم مع آراء الكاتب ولا لتعاطفهم الإنساني والفكري معه.

أما هدى الصدّة فتقدّم شهادة عن حالة نفع فيها استقطاب هامش من هوامش السلطة الأكاديمية في الجامعة، حيث ما كانت النتيجة الإيجابية لتحصل لو كان التوجّه إلى مركز السلطة.

وتزكي شمّامة خير الدين حماية القانون الجزائري للأطفال غير الشرعيين من حكم المجتمع الجائر عليهم، مفنّدة الأساليب القانونية المتّخذة وذاكرة الحدود التي لا تقدر الدولة على اجتيازها، في سبيل حمايتهم.

ويخبرنا الأكاديمي الصيني لين فنغمين عن تخطي الأدب العربي للتهميش، في الفترة الأخيرة، في المناهج الأكاديمية الصينية، بعد أزمان كان الطالب الصيني لا يحظى فيها بإمكانية أي اطّلاع على العربية وآدابها.

أما الطاولة المستديرة التي ساهم فيها عدد من عضوات تجمّع الباحثات اللبنانيات، مسترجعات تجاربهنّ من التهميش ومتبادلات أفكارهنّ حوله، فقد أثمرت وجهات نظر غنيّة، إزاء التهميش الجندري واللغوي والاجتماعي، وتهميش حقول الاختصاص وموضوعات البحث. ورأى البعض في التهميش حافزًا على التخطي والمجابهة وعلى البحث عن الذات او اجتراح أسلوب أو عمل مغاير، بينما رأت أخريات في التهميش مكان دفء وانطلاق أو هروب من المسؤولية. وكان الوقوع في

الهامش مدعاة لتأمّل البعض في المتغيّرات الحاصلة مؤخرًا في موضوعات البحث وأساليبه.

ويشتمل المحور على شهادات ووصف لتجارب في مواجهة أوضاع مهمشة للبلدات والأشخاص والفرق الدينية القليلة العدد. ففيه وصف قاسم القادري لمقاومة بلدية كفرشوبا لتهميش الدولة لها عن طريق أخذ المبادرة الذاتية وحمل المسؤولية التي أهملها من هم في الموقع الأعلى من المسؤولية. وفيه رواية ندى بركات لتجربتها كوالدة لطفل من ذوي الحاجات الخاصة، استطاعت بشجاعتها ودأبها وحنانها أن تحوّل وضعًا كثير الصعوبة، له ولها، إلى إيجابيات استفادا منها وأفادت كثيرين في مثل وضعهما. وفي المحور شهادة من البهائيين لهدى معماري تُعرِّف بهذه المجموعة وتظهر أساليبها في تخطي التهميش أو استخدامه إيجابيًّا لوضع قيم أخلاقية وتعاملية إنسانية مرتفعة، ولتبني المواقف الشجاعة والحفاظ على المعنويات العالية في مواجهة النقد والتهميش.

المحور الثالث: «وسائل وأساليب تعبير إعلامية واتصالية بديلة»

يعد عنوان هذا المحور راهنًا بامتياز، معبرًا عن سمة المرحلة التي نعيش، والتي تبدو المراهنات فيها على ما يسمى بـ «النيو ميديا» أو بالاعلام البديل أو إعلام المواطن أو الإعلام الاجتماعي أكبر بكثير من أي توقّعات. فقد ارتسمت مع الفضاء الإلكتروني خرائط جديدة وحصلت انزياحات من الهوامش نحو المركز ومن المركز نحو الأطراف ومن المرسلين نحو المتلقين وبالعكس، وأصبح بإمكان أي متلق أن يكون مرسلًا، واختلط الإعلام بالاتصال والإعلان بالإعلام، والكلام النخبوي بالشعبي، والعقلاني بالعاطفي، والأنا بالنحن. وأضيئت الهوامش لدرجة التوهم أن العالم غدا بلا وسط، والوسط لا وسط له، والهامش لا هامش له، وغدا الإنسان المتصل مجردًا من دواخله، وكأنه بلا نواة يتمحور حولها. وتوقف الباحثون /ات أمام الظاهرة الإعلامية الاتصالية الجديدة وما ينبثق عنها من ظواهر وما يحيط بها من مفارقات، واضعينها في سياقاتها الفعلية، مبرزين ما يتمخض عنها من إشكاليات، وما يمكن أن تحمله من فرضيات مختلفة.

في هذا المحور، تبحث نهوند القادري في التحولات الراهنة في الفضاء العام، طارحة أسئلة حول جدوى تخطّي النساء للفضاءات الجزئية بالهروب نحو فضاء عام متفلت من القيود والمعايير، وأحيانًا عنيف. وتعتبر القادري أن تواجد النساء العربيات في الساحات والميادين المنتفضة وعلى صفحات التواصل الاجتماعي قصَّر عن تنشيط الفضاء العام للمنتفضين، وعن جعله أكثر تنوعًا. فما زال التساؤل قائمًا حول تثمير هذا التواجد وتلك المشاركة في عمليات التغيير المستقبلية. فالنساء تحرّكن دون أن يطرحن على أنفسهن أسئلة

عن دوافعهن الخاصة، وعن أفق تحركهن، ودون أن يعملن على أشكلة قضاياهن التي سبق أن اعتبرت ضمن الخاص قبل أن تصبح موضوعًا للتداول في الفضاء العام.

تعتبر أمل قرامي أن جيل الشباب لم ينخرط في العمل السياسي بالمفهوم الكلاسيكي ولم يكن حاملًا لمشروع تغيير واضح المعالم بقدر ما كان قادرًا على الاحتجاج ومواجهة أشكال الهيمنة، من خلال التدوين والحوار في المنابر الإلكترونية والغناء والرقص وغيرها من الوسائل المتاحة للتعبير. وتجد قرامي أنّ وعي الشبّان المهمشين بالوسائل التي تُحقّق لهم التمكين أدّى إلى تطوير مواهبهم وإلى إتاحة الفرص لهم للانتماء إلى مجموعات عضوية وَحّدت صفوفهم، فكان ظهور تجمّع المدوّنين. وهي تذكر، في السياق نفسه، تكوّن لحمة بين فنّاني الراب جعلتهم يفكّرون في الإنتاج المشترك، فكانت وسائل التعبير في كثير من الحالات، علامة دالة على تكريس قيم التضامن والتعاون المشترك بين صفوف المهمّشين بهدف الخروج من حالة الإقصاء والسلبيّة إلى حالة البحث عن مبادرات خلاّقة وإنتاج معانٍ جديدة.

يحلل نصر الدين لعياضي استراتيجيات مختلفة تبناها الشباب الجزائري للالتفاف على التهميش، مثل تحويل الخطاب الإعلامي الرسمي عن غايته، وإحداث اضطراب في المنظومة الإعلامية الرسمية من خلال الكشف عن تناقضاتها، واستملاك تكنولوجيا الاتصال الحديثة. ويشير لعياضي إلى أنه أمام احتواء السلطة السياسية لأغاني الراب، وتسليعها، اتجه الشباب الجزائري، بعنفوان، في العقد الذي شهد كثرة الاضطرابات الاجتماعية واستشراء العنف الدموي في الشارع الجزائري، نحو أغاني الراب Rap وشكّلت هذه الأغاني للشباب ملاذًا وسلاحًا. فهي تسمح لهم بالتنفيس والحديث العلني عن بؤسهم وآمالهم، وغضبهم، كما تضع في أيديهم وسيلة للتنديد بالنظام السياسي ورموزه كما بالتيار الإسلامي المتطرف.

تبين مهى زراقط كيف نجحت مجموعة من اللبنانيين المتضررين من مشروع مدّ خط التوتر العالي في منطقتهم، في تحويل مطلبهم إلى قضية رأي عام، مطورين حراكهم، ليتحوّل من مشكلة عقارية، إلى قضية صحة عامة. وترى أن نجاحهم مردّه إلى التحوّلات التي شهدها الفضاء العام في العقود الأخيرة، إذ استفاد المواطنون من التهميش الذي يعاني منه الصحافيون وبعض السياسيين، بفعل الواقع اللبناني القائم على المحاصصة وأزمة التمثيل السياسي. وهذا ما حدا بها إلى طرح تساؤلات حول معوقات ممارسة مهنة الصحافة في لبنان، وحول أسباب تحول القضية الحياتية إلى مادة تجاذب سياسي، تضع الصحافي في موقع ما كان يريده لنفسه.

في البحث عن مشهد مصر ما بعد سقوط نظام حسني مبارك، تتنقل كاميرا بيسان طي في

القاهرة، مسجلة أربعة مشاهد حية لمهمشين سابقين أصبحوا، منذ شهور، يحتلون مكانة متقدمة من المشهد العام، ما وسّع من مجال حركتهم وزاد من فعالية حضورهم، بعد أن حولوا أدوات التعبير من العالم الافتراضي إلى العالم الملموس. وتتساءل طي إن كان هؤلاء قد خرجوا نهائيًّا من العزلة التي حُشروا فيها قبل الثورة، معتبرة أن الإجابة عن هذا التساؤل تبقى رهينة التطورات المستقبلية في مصر، في السياسية والثقافة وعلى المستوى الاجتماعي.

ترى زينب خليل أن اختيار فرقة «الطفار» البقاعية للراب كوسيلة تعبير موسيقي عن التهميش لم يأت من محض صدفة، بل هو ناتج عن قناعة راسخة لدى أهل المنطقة بأنهم ضحايا دولة «ظالمة» وشديدة المركزية تناست «الأطراف» وناسها فدُفعوا نحو الطرق غير القانونية لتأمين معيشتهم. فالوعي السياسي والموسيقي عند الشابين جعفر وناصر الدين مكَّناهما من التعبير عن هموم الفرد والمجتمع بواسطة ما سمياه «الموسيقى النظيفة». وبما أن أغانيهما لا تسلك قنوات التوزيع الكلاسيكية ولا تُبث على وسائل الإعلام التقليدية، فهما يلجآن إلى الشبكة الإلكترونية لتحميل ونقل أغانيهما، لاسيما عبر «اليوتيوب».

تلاحظ درة العطري أن النساء التونسيات يتنقلن في «خيوط التواصل» بين اللغة الفرنسية والعربيتين الفصحى والعامية، متحاشيات القضايا السياسية ومركزات على قضايا المرأة والمجتمع. وتجد العطري أن خطاب النساء الجنسي على النت يُظهر مجتمعًا منقسمًا بين قاعدة ترتاب من الغرب وتدافع عن تقليد عربي إسلامي محافظ وجماعة أخرى غربية الميول وتهوى الحداثة. وهو خطاب سمح به تزايد التواصل الاجتماعي على الشبكة، ما حدّ من قدرة السلطة على المراقبة والتحكم. وهي ترى أن قضايا المرأة والجنس في المجتمع التونسي التي يتم تداولها على النت تعكس صورة مجتمع يتخبط بتشنجات داخلية، انحرف فيه مسار الثورة من ثورة شباب عاطل عن العمل ينشد الحرية وكرامة العيش إلى خطاب سياسي يركز على قضايا المرأة كالنقاب وتعدد الزوجات وزواج العرف والمتعة.

المحور الرابع: ابتكار وإتقان في الفن والأدب

يتبين من هذا المحور بأن ليس للفن قوانين، فهو تفلّت خارج الزمن والمكان. فللفن عيون ترى الصبح في شمس المغيب وترسم البسمة بألوان الدموع. يصور الفن العالم بنبضات قلب مطوية بين صفحات كتاب، أو صرخة آه مدوية فوق مسرح الحياة. هو ذلك البعد الجمالي الذي تلتقطه عين إنسان مرهف، موهوب وتحوله عملًا يفجر الطاقات.

يحاور الفنان مخزون الحزن في أعماقه، يسترجع لحظات السعادة في عينيه، يستنهض ذاكرة العيش في الهامش وينتفض واقفًا في قلب الحدث. هذا ما شرحته لنا ميسون علي في

تعريفنا على مسرح المضطهدين الذي نظرّ له وبلوره المسرحي البرازيلي.Auguste Boal فهو ذلك المسرح الذي ينقل المهمش من موقع المتفرج التقليدي إلى إنسان يدخل الحدث، يدمّر السائد، يشارك في الحل ويحاول تغيير الواقع.

أما نازك يارد فقدمت في قراءتها لروايات محمد أبي سمرا وسليم بركات صورًا عن شخصيات مهمشة وردات فعل مختلفة لواقع التهميش. فهنالك من ينزوي وينطوي على نفسه لتفاقم شعوره بالدونية، وآخر يتجه إلى العنف والانتقام ممن هم في مكانة أفضل منه. وتشير يارد إلى أن النساء في روايات أبي سمرا كن أكثر إيجابية إذ حاولن تخطي التهميش وذلك بالتماهي وتقليد من هن في مستوى اجتماعي أفضل منهن. فالقسوة والعنف كانا رد الفعل على التهميش في روايات سليم بركات، رغم أن سيرته الذاتية ونجاحاته الأدبية شهدت على قدرة الكاتب على التغلب على التهميش الذي عاناه في صغره وشبابه. وقد ساهمت معاناته في تكوين شخصيته الأدبية وانعكست مفاعيل التهميش في حياته على شخصيات رواياته.

قدمت وطفى حمادي سيرورة المرأة في النص المسرحي العربي، وكيف انتقلت من الهامش إلى المركز وذلك برفضها للتراكيب الثنائية للنظام الأبوي واحتلالها مكان الذات في نصوصها المسرحية. فركزت المرأة في هذه النصوص على رفضها لتشييء الأنثى والتماهي مع معتقدات السلطة الذكورية ومن ثم البدء بصياغة خطابها ونصها بأسلوبها الخاص.

تناولت جميلة الزقاي تهشيم المرأة لصور وأشكال تهميشها عبر المسرح، مستشهدة بأعمال المسرحيين محمد بن قطاف وكاتب ياسين، حيث تبدو المرأة في نص ابن قطاف الحبيبة والزوجة الموعودة والمحرضة والمحفزة على فعل الخير وقلب موازين المجتمع لما هو أفضل. فتبدو في شخصية فاطمة امرأة تعري سمات عدة ألصقها المجتمع بالمرأة فتتحول من ضحية مهمشة إلى شخصية قوية تتحدى المجتمع الذكوري الذي يشيئها. أما كاتب ياسين فصور المرأة كرمز لمسقط رأسه الجزائر وجعلها شعارًا للحرية. هكذا تبدو النساء في مسرحياته مشاطرة الرجل الدفاع عن الوطن واتخاذ القرارات الكبرى.

أما ديانا جبور فقدمت لنا شهادة حيّة عن إبداع المهمشين كجماعة وكأفراد. وذلك بسرد تاريخ تهميش الأكراد في سوريا سياسيًّا، واجتماعيًّا وثقافيًّا. ومن ثم ذكرت ردّات فعلهم التي اتصفت بغزارة العطاء الأدبي، خاصة الشعر المنثور.

لم يكن عمر صباغ يومًا في الوسط بل سكن الهامشين المتناقضين. تعايش مع منتهى الحب ومنتهى الكراهية، مع الحياة والموت، مع زهد الروح وشهوة الحواس. انعكست هذه المتناقضات في حياته شعرًا يتحدى السائد والمعتاد. انبعثت في أبياته سعف النخيل هازئة من سطوة القطع لتعلو وتجاور السماء.

قدم العايب حسين دراسة مقارنة بين باية محيي الدين وفان كوخ. فرغم التفاوت في نوع التهميش الذي تعرضا له واختلاف موقعهما الاجتماعي والجندري فقد تشابهت ردات فعلهما وذلك بإبداع فني أفسح لهما مكانة مرموقة جدًّا في عالم الرسم.

لم تولد فاديا حطيط لأسرةٍ ميسورةٍ ذات ثروة طائلة، غير أنها عاشت صغرها وشبابها في بيت تنضح جدرانه بالطموح وتنبت في أرجائه غرسات التصميم والإرادة. أنعم الله عليها بأخ ذكي، كريم، طموح ومعطاء حفزّها وإخوانها على التحدي الذي أوصلهم إلى تحقيق الذات والنجاح. فكتبت وكتبت وتفوقت كما طلب منها وكأني بها تقول له، بعد نأيه عن عالم الأحياء، «شكرًا أخي الحبيب».

لم يكن أندرو غريب، الذي كتب عن سيرته ابنه أدمون غريب، مترجمًا عاديًّا فهو لم يعمل في مؤسسة أدبية ينال منها راتبًا مقابل أعماله وترجماته. هو مغترب لبناني أحب وطنه وأُعجب بالمبدعين من أبنائه. ترجم إلى الإنكليزية بعض أعمال جبران، والريحاني وأبو ماضي. صاغ كلماته بحبٍ ورقّة فجاءت ترجماته تضاهي الأصل بالجمال والاحتفاظ بالجوهر في الوقت ذاته. أندرو غريب عاش الغربتين وأبدع هازئًا من العيش في الهامش.